Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بَنَى بالبصرة الفَيْحاء سُورًا يضاهى السَّدَّ سَبْكًا وانعقادَا
وزيَّنها بأسواقٍ أرانَا بها كلَّ البلاد لها سَوادا
وكم من مشهد ورباط زُهْدٍ ومدرسةٍ بَنَى وهُدًى أفادا
وجامعُها المعظَّمُ إذْ تَداعَى وقال القائلون عَفَا وبادا
أقام له إلى الأهواز عِيرًا صِلادًا تحمل الضَّمَّ الصِّلادا

فهو قد بنى حول البصرة سورًا يحميها من غارات الأعداء. ويقول الشاعر فى قصيدة أخرى إنه بنى حوله خندقا ليحول بين البلد وما قد يدخلها من الأسود ليلا. ويذكر أنه عُنى بأن يقيم بها أسواقًا كبيرة للتجار وأن تعمر بالبضائع. ويقول الشاعر فى قصيدة أخرى إن سوقها الكبيرة تفوق سوق الثلاثاء ببغداد يريد سوق البزازين فيها. ويذكر أنه عُنى بمشاهد وأربطة الزهاد أو المتصوفة. والرباط كما هو معروف مركز إعداد الجيش لحرب الأعداء، ومن قديم تسمى زوايا المتصوفة أربطة، لأنهم كانوا يستعدون فيها هم ومن ينضم إليهم للجهاد فى سبيل الله. وكان العصر عصر الحروب الصليبية وكان صلاح الدين يبنى هذه الأربطة فى القاهرة وفى جميع بلاد دولته، ليتجمع فيها المتصوفة والمجاهدون فى سبيل الله. ويبدو أن الخليفة الناصر كان يصنع صنيعه فى مدن العراق، ولذلك عُنى واليه على البصرة باتكين بإعداد الأربطة فى مدينته. ولم يعن بأربطة المتصوفة ومشاهدهم فحسب، كما يقول ابن المقرب، بل عُنى أيضًا ببناء المدارس، يقول الشاعر فى لاميته:

أَحْيَا بها للشَّافعىِّ ومالكٍ وأبى حنيفةَ أَحْرُفًا وفُصولا

فكان فقه المذاهب الثلاثة: مذهب أبى حنيفة ومالك والشافعى يُدْرَسُ فيها، يدرسه العلماء المتخصصون. وليس ذلك فحسب، فقد كان يدرس فيها الحديث وتفسير الذكر الحكيم كما يقول الشاعر فى داليته الثانية:

وحَشَا تلكمُ المدارسَ بالكُتْـ ـبِ الشِّرافِ الصحيحةِ الإسنادِ

وواضح أنه يشير إلى أنه كان فى المدارس مكتبات جليلة تضمّ الكتب